الراحلة وقد يركب البغلة في معارك الحرب ليدلّ على الثبات
ويركب الخيل ويعدّها ليوم الفزع واجابة الصارخ وكذلك في
لباسه وسائر احواله بحسب اعتبار مصالحه ومصالح امّته وكذلك
يفعل الفعل من امور الدنيا مساعدةً لامّته وسياسةً وكراهيةً لخلافها
وان كان قد يرى غيره خيراً منه كما يترك الفعل لهذا وقد يرى فعله
خيراً منه وقد يفعل هذا في الامور الدينية مما له الخيرة في احد
وجهيه كخروجه من المدينة لأحد وكان مذهبه التحصّن بها وتركه
قتل المنافقين وهو على يقين من امرهم مؤالفةً لغيرهم ورعايةً
للمؤمنين من قرابتهم وكراهةً لأن يقول الناس ان محمداً يقتل
اصحابه كما جاء في الحديث الصحيح وتركه بناء الكعبة على قواعد ابراهيم
مراعاةً لقلوب قريش وتعظيمهم لتغييرها وحذراً من نفار
قلوبهم لذلك وتحريك متقدم عداوتهم للدين واهله فقال
لعائشة رضي الله عنها في الحديث الصحيح لولا حدثان قومك بالكفر
لاتممت البيت على قواعد ابراهيم ويفعل الفعل ثم يتركه لكون
غيره خيراً منه كانتقاله من ادنى مياه بدر الى اقربها للعدو من
قريش وكقوله صلى الله عليه وسلم لو استقبلت من امري
ما استدبرت لما سقت الهدي ويبسط وجهه للعدو والكافر رجاء
استئلافه ويصبر للجاهل ويقول ان من شرار الناس من اتقاه
الناس لشره ويبذل له الرغائب ليحبّب اليه شريعته ودين ربه
ويتولّى في منزله ما يتولّاه الخادم من مهنته ويتسمّت في ملاءته حتى
لا يبدو منه شيء من اطرافه وحتى كأن على رؤوس جلسائه الطير و
يتحدث مع جلسائه بحديث اولهم ويتعجّب مما يتعجبون منه
ويضحك مما يضحكون منه وقد وسع الناس بشره وعدله
لا يستفزه الغضب ولا يقصر عن الحق ولا يبطن على جليسه يقول
ما يقول ما كان لنبي ان يكون له خائنة الاعين فان قلت فا

فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة في الداخل عليه بئس
ابن العشيرة فلما دخل عليه ألان له القول وضحك معه فلما
سألته عن ذلك قال ان من شر الناس من اتقاه الناس
لشره وكيف جاز ان يظهر له خلاف ما يبطن ويقول في ظهره
ما قال فالجواب ان فعله عليه السلام كان استئلافاً لمثله وتطييباً
لنفسه ليتمكن ايمانه ويدخل في الاسلام بسببه اتباعه ويراه
مثله فينجذب بذلك الى الاسلام ومثل هذا على هذا الوجه قد
خرج من حد المداراة للدنيا الى السياسة الدينية وقد كان صلى
الله عليه وسلم يستألفهم باموال الله العريضة فكيف بالكلمة
اللينة قال صفوان بن امية لقد اعطاني رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو ابغض الخلق الي فما زال يعطيني حتى صار احب
الخلق الي وقوله عليه السلام فيه بئس ابن العشيرة هو غير
غيبة بل هو تعريف ما علمه منه لمن لم يعلم ليحذر حاله ويحترز
منه ولا يوثق بجانبه كل الثقة لاسيما وكان مطاعاً متبوعاً
ومثل هذا اذا كان لضرورة ودفع مضرة لم يكن بغيبة بل كان
جائزاً بل واجباً في بعض الاحيان كعادة المحدثين في تجريح
الرواة والمزكين في الشهود فان قيل فما معنى المعضل الوارد
في حديث بريرة من قوله عليه السلام لعائشة وقد اخبرته
ان موالي بريرة ابوا بيعها الا ان يكون لهم الولاء فقال لها
النبي صلى الله عليه وسلم اشتريها واشترطي لهم الولاء ففعلت
ثم قام خطيباً فقال ما بال اقوام يشترطون شروطاً ليست
في كتاب الله كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل والنبي صلى
الله عليه وسلم امرها بالشرط لهم وعليه باعوا ولولاه والله اعلم
لما باعوها من عائشة كما لم يبيعوها قبل حتى شرطوا ذلك عليها ثم
ابطله وهو قد حرم الغش والخديعة فاعلم اكرمك الله ان

Copyright © King Saud University